

## سورة المطففين

سورة المطففين مكية قال مقاتل: وهي أول سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثماني آيات من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا﴾ إلى آخرها، مكي، وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة وهي ست وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كيلا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك<sup>(١)</sup>، قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا، وعن ابن عباس أيضا قال: هي أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ساعة نزل المدينة، وكان هذا فيهم؛ كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح، فإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان<sup>(٢)</sup>، فلما نزلت هذه السورة انتهوا، فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا، وقال قوم: نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة، واسمه عمرو؛ كان له صاعان يأخذ بأحدهما، ويعطي بالآخر؛ قاله أبو هريرة رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَيْلٌٌ﴾ أي: شدة عذاب في الآخرة، وقال ابن عباس: إنه واد في جهنم يسيل فيه صديد، أهل النار<sup>(٤)</sup>، فهو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ أي: الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم، وروي عن ابن عمر قال: المطفف: الرجل يستأجر المكيال وهو يعلم أنه يحيف في كيلاه، فوزره عليه<sup>(٥)</sup>، وقال آخرون: التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث، وفي «الموطأ» قال مالك: ويقال: لكل شيء وفاء وتطفيف، وروي عن سالم بن أبي الجعد قال: [قال سليمان: الصلاة بمكيال]، فمن أوفى أوفى له، ومن طقف فقد علمتم ما قال الله عز وجل في ذلك: ﴿وَيْلٌٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

الثالثة: قال أهل اللغة: المطفف مأخوذ من التطفيف، وهو القليل، والمطفف هو المقل حق

(١) صحيح: النسائي (٦٧٤) في التفسير، وصححه الألباني هناك ..

(٢) هذه رواية البيهقي في الدلائل كما في الدر المنثور (٦/ ٥٣٦) .

(٣) عزاه السيوطي بنحوه في الدر (٦/ ٥٣٧، ٥٣٨) لابن النجار في تاريخه .

(٤) سبق تضييفه .

(٥) رواه الحاكم (٢/ ٥٦٢) وسكت عنه .

صاحبه بتقصانه عن الحق، في كيل أو وزن، وقال الزجاج: إنما قيل للفاعل من هذا مطفف؛ لأنه لا يكاد يسرق من الكيال والميزان إلا الشيء الطفيف الخفيف، وإنما أخذ من طف الشيء وهو جانبه، وطفاف الموك وطفاه بالكسر والفتح: ما ملا أصباره، وكذلك طف الموك وطففه؛ وفي الحديث: «كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤوه»<sup>(١)</sup>، وهو أن يقرب أن يمتلئ فلا يفعل، والمعنى بعضكم من بعض قريب، فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى، والطفافُ والطفافة بالضم: ما فوق الكيال، وإناء طَفَانُ: إذا بلغ الكيل طفاه؛ تقول منه: أطففت، والتطفيف: نقص الكيال وهو ألا تملأه إلى أصباره، أي: جوانبه؛ يقال: أهدقت الكأس إلى أصبارها، أي: إلى رأسها، وقول ابن عمر حين ذكر [أن] النبي ﷺ سبق [بيت] الخيل: كنت فارساً يومئذ فسبقت الناس حتى طفف بي الفرس مسجد بني زريق<sup>(٢)</sup>، حتى كاد يساوي المسجد، يعني: وثب بي.

الرابعة: المطفف: هو الذي يخسر في الكيل والوزن، ولا يوفي حسب ما بيناه؛ وروى ابن القاسم عن مالك: أنه قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فقال: لا تطفف ولا تخلب<sup>(٣)</sup>، ولكن أرسل وصب عليه صبا، حتى إذا استوى أرسل يدك ولا تمسك<sup>(٤)</sup>، وقال عبد الملك بن الماجشون: نهى رسول الله ﷺ عن مسح الطفاف<sup>(٥)</sup>، وقال: إن البركة في رأسه، قال: وبلغني أن كيل فرعون كان مسحاً بالحديدة. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ قال الفراء: أي: من الناس يقال: اكتلت منك: أي: استوفيت منك ويقال اكتلت ما عليك: أي: أخذت ما عليك، وقال الزجاج: أي: إذا اکتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل؛ والمعنى: الذين إذا استوفوا أخذوا الزيادة، وإذا أوفوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم، الطبري: ﴿عَلَى﴾ بمعنى عند. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوا أَوْ وُزِنُوا﴾.

فيه مسألتان :

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوا أَوْ وُزِنُوا﴾ أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذفت اللام، فتعدى الفعل فنصب؛ ومثله نصحتك ونصحت لك، وأمرتك به وأمرتكه؛ قاله الأخفش والفراء، قال الفراء: وسمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين إلى الموسم المقبل، قال: وهو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس، قال الزجاج: لا يجوز الوقف على «كالوا» و«وزنوا» حتى تصل به «هم»، قال: ومن الناس من يجعلها توكيداً، ويجوز الوقف على «كالوا» و«وزنوا» والأول الاختيار؛ لأنها حرف واحد، وهو قول الكسائي، قال أبو عبيد: وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين، ويقف على «كالوا» و«وزنوا» ويستدئ: ﴿هُمْ يُخْسِرُونَ﴾ قال: وأحسب قراءة

(١) ضعيف الإسناد وهو حسن: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة، وفيه لين وبقية رجال وثقوا كما في المجمع (٨٤ / ٨) للهيثمي .

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٨٦٨) في الجهاد والسير، ومسلم (١٨٧٠ / ٩٥) في الإمارة.

(٣ - ٥) أحكام القرآن (٤ / ١٩٠٧) وحديث الماجشون هذا ضعيف جداً؛ لأن بينه وبين النبي عليه السلام أزمة طوالاً.

حزمة كذلك أيضا، قال أبو عبيد: والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهتين: إحداهما: الخط؛ وذلك أنهم كتبوهما بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكانتا «كالوا» و«وزنوا» بالألف، والأخرى: أنه يقال: كلتُك ووزنتك بمعنى كلت لك، ووزنتُ لك، وهو كلام عربي؛ كما يقال: صدتُك وصدتُ لك، وكسبتك وكسبت لك، وكذلك شكرتك ونصحتك ونحو ذلك، قوله: «يُخْسِرُونَ» أي: ينقصون؛ والعرب تقول: أخسرت الميزان وخسرت، و«هم» في موضع نصب، على قراءة العامة، راجع إلى الناس، تقديره: «وإذا كالوا» الناس أو وزنوهم يخسرون. وفيه وجهان: أحدهما: أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذف الجار، وأوصل الفعل، كما قال:

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُوًّا وَعَسَاقِلًا      وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ

أراد: جنيت لك، والوجه الآخر: أن يكون على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والمضاف هو المكيل والموزون (١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنكم معاشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم: المكيال والميزان، وخص الأعاجم، لأنهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا، وكانا مفروقين في الحرمين؛ كان أهل مكة يزنون، وأهل المدينة يكيلون، وعلى القراءة الثانية: «هُم» في موضع رفع بالابتداء؛ أي: وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم فهم يخسرون، ولا يصح؛ لأنه تكون الأولى ملغاة ليس لها خبر، وإنما كانت تستقيم لو كان بعدها: وإذا كالوا هم ينقصون، أو وزنوا هم يخسرون.

الثانية: قال ابن عباس: قال النبي ﷺ «خمس بخمس: ما نقص قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفسقر، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا فشا فيهم الطاعون، وما طففوا الكيل إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر» خرج أبو بكر البزار بمعناه، ومالك بن أنس أيضا من حديث ابن عمر وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة» (٢)، وقال مالك بن دينار: دخلت على جار لي قد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار، جبلين من نار. فقلت: ما تقول؟ أتتهجر؟ قال: يا أبا يحيى، كان لي مكيالان، أكيل بأحدهما، وأكتال بالأخر، فممت فجعلت أضرب أحدهما بالأخر، حتى كسرتهما، فقال: يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالأخر ازداد عظما، فمات من وجعه (٣)؛ وقال عكرمة: أشهد على كل كيال أو وزن أنه في النار، قيل له: فإن ابنك كيال أو وزن، فقال: أشهد أنه في النار (٤)؛ قال الأصمعي: وسمعت أعرابية تقول: لا تلتمس المروءة ممن مروءته في رؤوس المكايل، ولا السنة الموازين، وروي ذلك عن علي رضي الله عنه، وقال عبد خير: مر علي رضي الله عنه على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح، فأكفأ الميزان، ثم قال: أقم الوزن بالقسط؛ ثم أرجح بعد ذلك

(١) سبق عند الآية (٩) من سورة الرحمن .

(٢) صحيح بشاهده: إنما روى عن ابن عمر كما في صحيح الجامع (٧٩٧٨) وهذه رواية الطبراني في الكبير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كما في المجمع (٣/ ٦٥) وفيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان المروزي ليته الحاكم وبقية رجاله موثقون .

(٣) رواه الذهبي (ص ٢٧٦) في الكباير بنحوه وتهجر تهذى اللسان . هجر .

(٤) رواه الطبري (٣٠/ ٩٦) في تفسيره .

ما شئت، كأنه أمره بالتسوية أولاً ليعتادها، ويفضل الواجب من النفل، وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن بالقسط، فإن المطففين يوم القيامة يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم<sup>(١)</sup>، وقد روي أن أبا هريرة قدم المدينة وقد خرج النبي ﷺ إلى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، فقال أبو هريرة: فوجدناه في صلاة الصبح فقرأ في الركعة الأولى: ﴿كَهَيْعَتِ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [مريم] وقرأ في الركعة الثانية: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قال أبو هريرة: فأقول في صلاتي: ويل لأبي فلان، كان له مكيلان إذا أكتال أكتال بالوافي، وإذا كال كال بالناقص<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۗ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۗ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ۗ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ﴾ إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجترار على التطفيف، كأنهم لا يخطر عليهم، ولا يخمنون تخميننا، ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ فمسؤولون عما يفعلون.  
والظن هنا بمعنى اليقين؛ أي: ألا يوقن أولئك، ولو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن، وقيل: الظن بمعنى التردد، أي: إن كانوا لا يستيقنون بالبعث، فهلا ظنوه، حتى يتدبروا ويبحثوا عنه، ويأخذوا بالأحوط ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ شأنه وهو يوم القيامة.  
قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى: العامل في ﴿يَوْمٍ﴾ فعل مضمر، دل عليه ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾، والمعنى: يبعثون ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ويجوز أن يكون بدلاً من «يوم» في ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو مبني، وقيل: هو في موضع خفض؛ لأنه أضيف إلى غير متمكن، وقيل: هو منصوب على الظرف أي: في يوم، ويقال: أقم إلى يوم يخرج فلان، فتنصب يوم، فإن أضافوا إلى الاسم فحيثئذ يخفضون ويقولون: أقم إلى يوم خروج فلان، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: إنهم مبعوثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ليوم عظيم.

الثانية: وعن عبد الملك بن مروان: أن أعرابياً قال له: قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين؛ أراد بذلك أن المطففين قد توجه عليهم هذا الوعيد العظيم الذي سمعت به، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن، وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظيم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين، بيان بليغ لعظم الذنب، وتفاقم الإثم في التطفيف، وفيما كان في مثل حاله من الحيف، وترك القيام بالقسط، والعمل على التسوية والعدل في كل أخذ وإعطاء، بل في كل قول وعمل.

الثالثة: قرأ ابن عمر: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فبكى حتى سقط،

(١) صحيح: وسيأتي مرفوعاً.

(٢) صحيح: الهشمي (٧/ ١٣٥) في المجمع وعزاه للبخاري وقال: «رجال رجال الصحيح غير إسماعيل بن مسعود الجحدري وهو ثقة».

وامتنع من قراءة ما بعده، ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يوم يقوم الناس لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فمنهم من يبلغ العرق كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبته، ومنهم من يبلغ حقويه، ومنهم من يبلغ صدره، ومنهم من يبلغ أذنيه، حتى إن أحدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع» (١)، وروى ناس عن ابن عباس قال: يقومون مقدار ثلاثمائة سنة، قال: ويهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة، وروى عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «يقومون ألف عام في الظلمة» (٢)، وروى مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى إن أحدهم ليقوم في رشحه إلى أنصاف أذنيه» (٣)، وعنه أيضا عن النبي ﷺ: «يقوم مائة سنة» (٤)، وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ لبشير الغفاري: «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلاثمائة سنة لرب العالمين، لا يأتيهم فيه خبر، ولا يؤمر فيه بأمر» قال بشير: المستعان الله (٥).

قلت: قد ذكرناه مرفوعا من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إنه ليخفف عن المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصلحها في الدنيا» (٦) في «سأل سائل» (٧)، وعن ابن عباس: يهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة (٨)، وقيل: إن ذلك المقام على المؤمن كزوال الشمس؛ والدليل على هذا من الكتاب قول الحق: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٣] ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] جعلنا الله منهم بفضله وكرمه وجوده ومنه، آمين، وقيل: المراد بالناس جبريل عليه السلام يقوم لرب العالمين؛ قاله ابن جبير (٩) وفيه بعد؛ لما ذكرنا من الأخبار في ذلك، وهي صحيحة ثابتة، وحسبك بما في صحيح مسلم والبخاري والترمذي من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: «يوم يقوم الناس لرب العالمين» قال: «يقوم أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه» (١٠)، ثم قيل: هذا القيام يوم يقومون من قبورهم، وقيل: في الآخرة بحقوق عباده في الدنيا، وقال يزيد الرشك: يقومون بين يديه للقضاء.

الرابعة: القيام لله رب العالمين سبحانه حقير بالإضافة إلى عظمته وحقه، فأما قيام الناس بعضهم لبعض فاختلف فيه الناس؛ فمنهم من أجازته، ومنهم من منعه، وقد روي أن النبي ﷺ قام إلى جعفر ابن أبي طالب واعتنقه، وقام طلحة لكعب بن مالك يوم تيب عليه، وقول النبي ﷺ للأنصار حين

(١) ضعيف هكذا: هذه من أغلاط المحدثين، وانظر: الحاكم (٥٦٢/٢).

(٢) هذا ما لم أجده.

(٣) متفق عليه: البخاري (٤٩٣٨) في التفسير، ومسلم (٢٨٦٢) في الجنة.

(٤) ضعيف: الطبري (٩٨/٣٠) في تفسيره من طريق ابن حميد وهو منهم بالكذب.

(٥) في إسناده نظر: الطبري (٩٩/٣٠) في تفسيره بسند فيه عبد السلام بن عجلان، وقال أبو حاتم: وهو يكتب حديثه، وتوقفوا فيه، فقيه نظر، ورواه ابن أبي حاتم (٣٨٢/١٢).

(٦) حسن: وقد سبق.

(٧) عند الآية (٤) من سورة الحج.

(٨) انظر: قبل السابق.

(٩، ١٠) صحيحان: وقد سبقا.

طلع عليه سعد بن معاذ: « قوموا إلى سيدكم »<sup>(١)</sup>، وقال أيضا: « من سره أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار »<sup>(٢)</sup>، وذلك يرجع إلى حال الرجل ونسته، فإن انتظر ذلك واعتقده لنفسه [حقاً]، فهو ممنوع، وإن كان على طريق البشاشة والوصلة فإنه جائز، وخاصة عند الأسباب، كالقدوم من السفر ونحوه، وقد مضى في آخر سورة يوسف شيء من هذا<sup>(٣)</sup>.

﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٣﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّمَاتٍ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٦﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ قال قوم من أهل العلم بالعربية: ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبية، أي: ليس الأمر على ما هم عليه من تطفيف الكيل والميزان، أو تكذيب بالآخرة، فليتردعوا عن ذلك، فهي كلمة ردع وزجر، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾، وقال الحسن: ﴿كَلَّا﴾ بمعنى حقا، وروى ناس عن ابن عباس ﴿كَلَّا﴾ قال: ألا تصدقون؛ فعلى هذا: الوقف لرب العالمين، وفي تفسير مقاتل: إن أعمال الفجار، وروى ناس عن ابن عباس قال: إن أرواح الفجار وأعمالهم ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: سجين صخرة تحت الأرض السابعة، تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها<sup>(٥)</sup>، ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب؛ قال كعب: تحتها أرواح الكفار تحت خد إبليس، وعن كعب أيضا قال: سجين صخرة سوداء تحت الأرض السابعة، مكتوب فيها اسم كل شيطان<sup>(٦)</sup>، تلقى أنفوس، الكفار عندها، وقال سعيد بن جبير: سجين تحت خد إبليس<sup>(٧)</sup>، يحيى بن سلام: حجر أسود تحت الأرض، يكتب فيه أرواح الكفار، وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السابعة السفلى، وفيها إبليس وذريته<sup>(٨)</sup>، وعن ابن عباس قال: إن الكافر يحضره الموت، وتحضره رسل الله، فلا يستطيعون لبغض الله وبغضهم إياه، أن يؤخروه ولا يعجلوه حتى تحييء ساعته، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه، ورفعوه إلى ملائكة العذاب، فأروه ما شاء الله أن يروه من الشر، ثم هبطوا به إلى الأرض السابعة، وهي سجين، وهي آخر سلطان إبليس، فأثبتوا فيها كتابه<sup>(٩)</sup>، وعن كعب الأحبار في هذه الآية قال: إن روح الفاجر إذا قبضت

(١) (٢) صحيحان: وقد سبقا .

(٣) الآية (١٠٠) من سورة يوسف .

(٤) انظر: ما بعد التالي .

(٥) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٣٠ / ١٠١) في تفسيره .

(٦) حسن إلى ابن عباس: الطبري (٣٠ / ١٠٠) في تفسيره، وانظر: بقية الأقوال هناك، وقول كعب هذا ضعيف

جداً، فقد رواه الطبري (٣٠ / ١٠١) في تفسيره، عن طريق شمر عن ابن عباس وهو منقطع، وشيخه ابن

حميد متهم بالكذب .

(٧) ضعيف المتن: وإن صح السند فخذ إبليس هذا لم يرد به النص .

(٨) مرسل: ولا سند له من الوحي .

(٩) روى مرفوعاً من حديث البراء بن عازب سبق تصحيحه: وذكره السيوطي (٦ / ٥٣٧) في الدر وعزاه لابن المنذر

وابن المبارك .

يصعد بها إلى السماء، فتأبى السماء أن تقبلها، ثم يهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبلها، فتدخل في سبع أرضين، حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو خد إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت خد إبليس رق، فيرقم فيوضع تحت خد إبليس، وقال الحسن: سجين في الأرض السابعة، وقيل: هو ضرب مثل وإشارة إلى أن الله تعالى يرد أعمالهم التي ظنوا أنها تنفعهم، قال مجاهد: المعنى عملهم في الأرض السابعة لا يصعد منها شيء، وقال: سجين صخرة في الأرض السابعة<sup>(١)</sup>، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «سجين جب في جهنم وهو مفتوح» وقال في الفلق: «إنه جب مغطى»<sup>(٢)</sup>، وقال أنس: هي دركة في الأرض السفلي، وقال أنس: قال النبي ﷺ: «سجين أسفل الأرض السابعة»<sup>(٣)</sup>، وقال عكرمة: سجين: خسار وضلال؛ كقولهم لمن سقط قدره: قد زلق بالحضيض، وقال أبو عبيدة والأخفش والزجاج: ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾ لفي حبس وضيق شديد، فعيل من السجن؛ كما يقول: فسيق وشريب؛ قال ابن مقبل:

ورُفْقَةٌ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ ضَاحِيَةً      ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سَجِينًا

والمعنى: كتابهم في حبس؛ جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم، أو لأنه يحل من الإعراض عنه والإبعاد له محل الزجر والهوان، وقيل: أصله سجيل، فأبدلت اللام نونا، وقد تقدم ذلك، وقال زيد بن أسلم: سجين في الأرض السافلة، وسجيل في السماء الدنيا، القشيري: سجين: موضع في السافلين، يدفن فيه كتاب هؤلاء، فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون، وهذا دليل على خبث أعمالهم، وتحقير الله إياها؛ ولهذا قال في كتاب الأبرار: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾ أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه يا محمد أنت ولا قومك، ثم فسره له فقال: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ أي: مكتوب كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحي، وقال قتادة: ﴿مَرْقُومٌ﴾ أي: مكتوب، رقم لهم بشر: لا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد<sup>(٥)</sup>، وقال الضحّاك: مرقوم: مخنوم، بلغة حمير؛ وأصل الرقم: الكتابة؛ قال:

سَأْرُقُمُ فِي الْمَاءِ الْقَرَّاحُ إِلَيْكُمْ      عَلَى بُعْدِكُمْ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ رَاقِمٌ

وليس في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾ ما يدل على أن لفظ سجين ليس عربيا، كما لا يدل في قوله: ﴿الْقَارِعَةُ﴾<sup>(٦)</sup> ما الْقَارِعَةُ<sup>(٧)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ<sup>(٨)</sup> [القارعة] بل هو تعظيم لأمر سجين، وقد مضى في مقدمة الكتاب - والحمد لله - أنه ليس في القرآن غير عربي.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: شدة وعذاب يوم القيامة للمكذبين، ثم بين تعالى أمرهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: بيوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد، ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي: فاجر جائز عن الحق، معتد على الخلق في معاملته إياهم وعلى نفسه، وهو أثيم في

(١) صحيح إليه: الطبري (٣٠ / ١٠٢) في تفسيره.

(٢) منكر لا يصح: رواه الطبري (٣٠ / ١٠١) في تفسيره، وانظر: ضعيف الجامع (٤٠٣٣).

(٣) ضعيف: مرفوعا ومقطوعا: ورواه الطبري (٣٠ / ١٠١) في تفسيره ضعيفا من قول قتادة بسند فيه أبو هلال الراسبي وهو ضعيف.

(٤) صحيح إلى قتادة: الطبري (٣٠ / ١٠٢) في تفسيره.

ترك أمر الله، وقيل هذا في الوليد بن المغيرة وأبي جهل ونظرائهما لقوله تعالى: ﴿إِذَا تَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقراءة العامة «تَلَّتْ» بتاءين، وقراءة أبي حيوه وأبي سماك وأشهب العقيلي والسلمي «أذا يتلى» بالياء، ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أحاديثهم وأباطيلهم التي كتبوها وزخرفوها، وأحدها أسطورة وإسطارة، وقد تقدم.

﴿كَلَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ كَلَّابٌ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٢﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تُكْذِبُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿كَلَّابٌ﴾: ردع وزجر، أي: ليس هو أساطير الأولين، وقال الحسن: معناها حقا ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، وقيل: في الترمذي: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زيد، فيها، حتى تعلق على قلبه، وهو الران الذي ذكر الله في كتابه ﴿كَلَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»، قال: هذا حديث حسن صحيح<sup>(١)</sup>، وكذا قال المفسرون: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب، قال مجاهد: هو الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، حتى تغشي الذنوب قلبه<sup>(٢)</sup>، قال مجاهد: هي مثل الآية التي في سورة البقرة: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة: ٨١] الآية<sup>(٣)</sup>، ونحوه عن الفراء؛ قال: يقول: كثرت المعاصي منهم والذنوب، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها، وروي عن مجاهد أيضا قال: القلب مثل الكهف ورفع كفه، فإذا أذنب العبد الذنب انقبض، وضم إصبعه، فإذا أذنب الذنب انقبض، وضم أخرى، حتى ضم أصابعه كلها، حتى يطبع على قلبه، قال: وكانوا يرون أن ذلك هو الرين، ثم قرأ: ﴿كَلَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومثله عن حذيفة رضى الله عنه سواء<sup>(٥)</sup> وقال بكر بن عبد الله: إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كوخذة الإبرة، ثم صار إذا أذنت ثانيا صار كذلك، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمخل، أو كالغريال، حتى لا يعي خيرا، ولا يثبت فيه صلاح، وقد بينا في «البقرة» القول في هذا المعنى بالأخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ، فلا معنى لإعادتها، وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس شيئا الله أعلم بصحته؛ قال: هو الران الذي يكون على الفخذين والساق والقدم، وهو الذي يلبس في الحرب<sup>(٦)</sup>، قال: وقال آخرون: الران: الخاطر الذي يخطر بقلب الرجل، وهذا مما لا يضمن عهدة صحته، فالله أعلم، فأما عامة أهل التفسير فعلى ما قد مضى ذكره قبل هذا، وكذلك أهل اللغة عليه؛ يقال: ران على قلبه

(١) حسن صحيح : الترمذي (٣٣٣٤) في التفسير، وحسنه الألباني (١٦٧٠) في صحيح الجامع .

(٢ - ٤) صحاح إلى مجاهد : الطبري (٣٠ / ١٠٤ ، ١٠٥) في تفسيره .

(٥) سبق قبل ذلك : وانظر: الدر المنثور (٦ / ٥٣٩) للسيوطي، وعزاه للبيهقي .

(٦) هذه أسانيد ضعاف .

ذنبه يرين رينا وربونا، أي: غلب، قال أبو عبيدة في قوله: ﴿كَلَّابٌ لَّانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: غلب؛ وقال أبو عبيد: كل ما غلبك فقد ران بك، ورانك، وران عليك؛ وقال الشاعر:

وَكَمْ رَانَ مِنْ ذَنْبٍ عَلَىٰ قَلْبٍ فَاجِرٍ      فتابَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي رَانَ وَانجَلَى

ورانت الخمر على عقله، أي: غلبته، وران عليه النعاس: إذا غطاه؛ ومنه قول عمر في الأسيف:

- أسيف جهينة: فأصبح قد رين به، أي: غلبته الديون، وكان يدان؛ ومنه قول أبي زيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سكرًا، فقال:

ثم لما رآه رانت به الخمر      رُ وَأَنْ لَا تَرِيَنَهُ بِاتِقَاءِ

فقوله: رانت به الخمر، أي: غلبت على عقله وقلبه، وقال الأموي: قد أران القوم فهم

مرينون: إذا هلكت مواشيههم أو هزلت، وهذا من الأمر الذي أتاهم مما يغلبهم، فلا يستطيعون

احتماله، قال أبو زيد يقال: قد رين بالرجل رينا: إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، ولا قبل له

به. وقال أبو معاذ النحوي: الرين: أن يسود القلب من الذنوب، والطبع: أن يطبع على القلب، وهذا

أشد من الرين، والإفقال أشد من الطبع. الزجاج: الرين: هو كالصدأ يغطي القلب كالغيم الرقيق،

ومثله الغين، يقال: غين على قلبه: غطى، والغين: شجر ملتف، الواحدة غيناء، أي: خضراء،

كثيرة الورق، ملتفة الأغصان، وقد تقدم قول الفراء: إنه إحاطة الذنوب بالقلوب، وذكر الثعلبي عن ابن

عباس ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أي: غطى عليها، وهذا هو الصحيح عنه إن شاء الله، وقرأ حمزة والكسائي

والأعمش وأبو بكر والمفضل: «رين» بالإمالة؛ لأن فاء الفعل الراء، وعينه الألف متقلبة من ياء،

فحسنت الإمالة لذلك، ومن فتح فعلى الأصل؛ لأن باب فاء الفعل في «فَعَلَ» الفتح، مثل كَالٍ وَبَاعٍ

ونحوه، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ووقف حفص ﴿بَلْ﴾ ثم يتدنى ﴿رَانَ﴾ وقفا بين اللام، لا للسكت.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: حقا ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني الكفار ﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿لَمَّحْجُوبُونَ﴾ وقيل: ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر، أي: ليس كما يقولون، بل ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾،

قال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه

الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون، وقال جل ثناؤه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة] فأعلم الله جل ثناؤه أن المؤمنين ينظرون إليه، وأعلم أن الكفار محجبون عنه،

وقال مالك بن أنس في هذه الآية: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأولياته حتى رأوه، وقال الشافعي:

لما حجب قوما بالسخط، دل على أن قوما يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدریس

أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا. وقال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده

حجبهم في الآخرة عن رؤيته، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَمَّحْجُوبُونَ﴾ أي: عن كرامته ورحمته

ممنوعون، وقال قتادة: هو أن الله لا ينظر إليهم برحمته، ولا يزيههم ولهم عذاب أليم، وعلى الأول

الجمهور، وأنهم محجبون عن رؤيته فلا يرونه، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي: ملازموها، ومحترقون

فيها غير خارجين منها، ﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [السجدة: ٥٦] و﴿كَلَّمَا حَبَّتْ زِدَانُهُمْ سَمِيرًا﴾

[الإسراء: ٩٧]، ويقال: الجحيم: الباب الرابع من النار، ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم أي: تقول لهم خزنة جهنم: ﴿هَذَا

الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ رسل الله في الدنيا.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ ﴿٢﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٣﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ﴾ ﴿كَلَّا﴾ بمعنى: حقا، والوقف على ﴿تَكْذُوبُونَ﴾، وقيل أي: ليس الأمر كما يقولون ولا كما ظنوا، بل كتابهم في سجين، وكتاب المؤمنين في عليين، وقال مقاتل: كلا، أي: لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ مرفوع في عليين على قدر مرتبتهم، قال ابن عباس: أي: في الجنة، وعنه أيضا قال: أعمالهم في كتاب [عند] الله في السماء، وقال الضحاك ومجاهد وقتادة: يعني السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين <sup>(١)</sup>، وروى ابن الأجلح عن الضحاك قال: هي سدرة المنتهى، ينتهي إليها كل شيء من أمر الله لا يعدوها، فيقولون: رب، عبدك فلان، وهو أعلم به منهم، فيأتيه كتاب من الله عز وجل مختوم بأمانه من العذاب، فذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ <sup>(٢)</sup>، وعن كعب الأحبار قال: إن روح المؤمن إذا قبضت صعد بها إلى السماء، وفتحت لها أبواب السماء، وتلقتها الملائكة بالبشرى، ثم يخرجون معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرج لهم من تحت العرش رق فيرقم ويختم فيه النجاة من الحساب يوم القيامة ويشهده المقربون <sup>(٣)</sup>، وقال قتادة أيضا: ﴿فِي عِلِّيْنَ﴾ هي فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى <sup>(٤)</sup>، وقال البراء بن عازب: قال النبي ﷺ: «عليون في السماء السابعة تحت العرش» <sup>(٥)</sup>، وعن ابن عباس أيضا: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق بالعرش، أعمالهم مكتوبة فيه، وقال الفراء: عليون: ارتفاع بعد ارتفاع، وقيل: عليون أعلى الأمكنة. وقيل: معناه علو في علو مضاعف، كأنه لا غاية له؛ ولذلك جمع بالواو والنون، وهو معنى قول الطبري، قال الفراء: هو اسم موضوع على صفة الجمع، ولا واحد له من لفظه؛ كقولك: عشرون وثلاثون، والعرب إذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنية، قالوا في المذكر والمؤنث بالنون، وهي معنى قول الطبري، وقال الزجاج: إعراب هذا الاسم كإعراب الجمع، [لأنه على لفظ الجمع] كما تقول: هذه قنسران، ورأيت قنسرين، وقال يونس النحوي: واحدها: عليٌّ وعليه، وقال أبو الفتح: عليين: جمع على، وهو فعيل من العلو، وكان سبيله أن يقول: عليه كما قالوا للغرفة: عليه؛ لأنها من العلو، فلما حذف التاء من عليه عوضوا منها الجمع بالواو والنون، كما قالوا في أرضين، وقيل: إن عليين صفة للملائكة، فإنهم الملأ الأعلى؛ كما يقال: فلان في بني فلان؛ أي: هو في جملتهم وعندهم، والذي في الخبر من حديث ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل عليين لينظرون إلى الجنة من كذا، فإذا أشرف رجل من أهل عليين أشرفت الجنة لضياء وجهه، فيقولون: ما هذا النور؟ فيقال أشرف

(١) حسن: الطبري (٣٠/ ١٠٧) في تفسيره.

(٢) مرسل: ولا سند للضحاك هنا، ورواه السيوطي (٦/ ٥٤١) في الدر وعزاه لعبد بن حميد، والطبري (٣٠/

١٠٨) في تفسيره وفيه ضعف.

(٣) حسن: وقد سبق.

(٤) صحيح: الطبري (٣٠/ ١٠٨).

(٥) لم أجده، وإنما روى بمعناه في حديث البزار الذي سبق تخريجه صحيحاً.

رجل من أهل عليين الأبرار أهل الطاعة والصدق»<sup>(١)</sup>، وفي خير آخر: «إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى الكوكب الدرّي في أفق السماء»<sup>(٢)</sup> يدل على أن عليين اسم الموضع المرتفع، وروى ناس عن ابن عباس في قوله: ﴿عَلِيْنَ﴾ قال: أخير أن أعمالهم وأرواحهم في السماء الرابعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُونَ﴾ أي: ما الذي أعلمك يا محمد أي شيء عليون؟ على جهة التفتيح والتعظيم له في المنزلة الرفيعة، ثم فسره له فقال: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾<sup>(٣)</sup> يشهده المُرْقُوبُونَ<sup>(٤)</sup>، وقيل: إن ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ ليس تفسيرا لعليين، بل تم الكلام عند قوله: ﴿عَلِيُونَ﴾ ثم ابتدأ وقال: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: كتاب الأبرار كتاب مرقوم ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجار؛ قاله القشيري، وروى: أن الملائكة تصعد بعمل العبد، فيستقبلونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم: إنكم الحفظة على عبدي، وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه أخلص لي عمله، فاجعلوه في عليين، فقد غفرت له، وإنها لتصعد بعمل العبد، فيزكونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله، فاجعلوه في سجين.

قوله تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ﴾<sup>(٥)</sup> أي: يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء من الملائكة، وقال وهب وابن إسحاق: المقربون هنا إسرافيل عليه السلام، فإذا عمل المؤمن عمل البر، صعدت الملائكة بالصحيفة وله نور يتلألأ في السموات كتور الشمس في الأرض، حتى ينتهي بها إلى إسرافيل، فيختم عليها ويكتب فهو قوله: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ﴾ أي: يشهد كتابتهم.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾<sup>(٦)</sup> عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ<sup>(٧)</sup> تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ<sup>(٨)</sup> يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْخُومٍ<sup>(٩)</sup> خِتْمُهُ مِسْكَ<sup>(١٠)</sup> وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ<sup>(١١)</sup> وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِينٍ<sup>(١٢)</sup> عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ<sup>(١٣)</sup> ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ أي: أهل الصدق والطاعة، ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ أي: نعمة، والنَّعْمَةُ بالفتح: التنعيم؛ يقال: نَعَمَ الله وناعمه فتنعم وامرأة منعمة ومناعمة بمعنى، أي: إن الأبرار في الجنات يتنعمون ﴿عَلَى الْأَرْبَابِكِ﴾ وهي الأسرة في الحجال. ﴿يَنْظُرُونَ﴾ أي: إلى ما أعد الله لهم من الكرامات؛ قاله عكرمة وابن عباس ومجاهد<sup>(٣)</sup>، وقال مقاتل: ينظرون إلى أهل النار، وعن النبي ﷺ: «ينظرون إلى أعدائهم في النار»<sup>(٤)</sup> ذكره المهدي، وقيل: على أرائك أفضله ينظرون إلى وجهه وجلاله.

قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي: بهجته وخصارته ونوره؛ يقال: نضرت النبات: إذا أزهت ونور، وقراءة العامة: ﴿تَعْرِفُ﴾ بفتح التاء وكسر الراء ﴿نَضْرَةَ﴾ نصبا؛ أي: تعرف يا محمد، وقرأ

(١) ضعيف: أبو داود (٣٩٨٧) في الحروف والقراءات بنحوه وضعفه الألباني هناك، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه وبلفظه عن ابن عمرو.

(٢) صحيح: مسلم (٢٨٣١) في الجنة، عن سهل بن سعد.

(٣) بنحوه عند الطبري (١١٠ / ٣٠) في تفسيره.

(٤) ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً؛ ذكره سيد محمود الألوسى (٣٢٤ / ٩) في التفسير مقطوعاً على مقاتل.

أبو جعفر بن القعقاع ويعقوب وشيبة وابن أبي إسحاق: « تُعْرَفُ بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ عَلَى الْفِعْلِ الْمَجْهُولِ « نُضْرَةٌ » رَفْعًا <sup>(١)</sup> ، « يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ » أَي: مِنْ شَرَابٍ لَا غَشَّ فِيهِ ، قَالَه الْأَخْفَشُ وَالزَّجَّاجُ ، وَقِيلَ: الرَّحِيقُ الْخَمْرُ الصَّافِيَةُ ، وَفِي « الصَّحَاحِ »: الرَّحِيقُ صَفْوَةُ الْخَمْرِ ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ ، الْخَلِيلُ: أَصْفَى الْخَمْرَ وَأَجْوَدَهَا ، وَقَالَ مِقَاتِلٌ وَغَيْرُهُ: هِيَ الْخَمْرُ الْعَتِيقَةُ الْبَيْضَاءُ الصَّافِيَةُ مِنَ الْغَشِّ الثَّيْرَةِ ، قَالَ حَسَنٌ:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ      بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

وقال آخر:

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ وَذَكَرَهُ      أَشْهَى إِلَى مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

قوله تعالى: «مُخْتَمٌ» (٢٥) خَتَامُهُ مِسْكٌ ﴿ قال مجاهد: يختم به آخر جرعة ، وقيل: المعنى إذا شربوا هذا الرحيق ففنى ما فى الكأس ، انختم ذلك بخاتم المسك ، وكان ابن مسعود يقول: يجدون عاقبتها طعم المسك <sup>(٢)</sup> ، ونحوه عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي قالا: ختامه آخر طعمه وهو حسن ، لأن سبيل الأشربة أن يكون الكدر فى آخرها ، فوصف شراب أهل الجنة بأن رائحة آخره رائحة المسك وعن مسروق عن عبد الله قال: المختوم المزوج <sup>(٣)</sup> ، وقيل: مختوم أي: ختمت ومنعت عن أن يمسها ماس إلى أن يفك ختامها الأبرار ، وقرأ علي وعلقمة وشقيق والضحاك وطاوس والكسائي: «خَتَامَهُ» بفتح الخاء والتاء وألف بينهما <sup>(٤)</sup> ، قال علقمة: أما رأيت المرأة تقول للطارق: اجعل خاتمك مسكا ، تريد آخره ، والخاتم والختام متقاربان فى المعنى ، إلا أن الخاتم الاسم ، والختام المصدر؛ قاله الفراء ، وفى «الصحاح»: والختام: الطين الذي يُخْتَمُ بِهِ ، وكذا قال مجاهد وابن زيد: خُتِمَ إِنَاؤُهُ بِالْمِسْكِ بَدَلًا مِنَ الطِّينِ <sup>(٥)</sup> .

حكاه المهدي ، وقال الفرزدق:

وَبِتُّ أَفْضُ أَغْلَاقَ الْخِتَامِ <sup>(٦)</sup>

وقال الأعشى:

وأبرزها وعليها ختم <sup>(٧)</sup>

أي: عليها طينة مختومة؛ مثل نَفْضٍ بِمَعْنَى مَنْفُوضٍ ، وَقَبْضٍ بِمَعْنَى مَقْبُوضٍ ، وَذَكَرَ ابْنَ الْمُبَارَكِ وَابْنَ وَهْبٍ ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، بِنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «خَتَامُهُ مِسْكٌ» : خَلَطَهُ ، لَيْسَ بِخَاتَمٍ يَخْتَمُ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ الْمَرْأَةِ مِنْ نَسَائِكُمْ: إِنْ خَلَطَهُ مِنَ الطَّيِّبِ كَذَا وَكَذَا ، إِنَّمَا خَلَطَهُ مِسْكَ ؛ قَالَ [ أَبُو الدَّرْدَاءِ ] : شَرَابٌ أَبْيَضٌ مِثْلَ الْفِضَّةِ يَخْتَمُونَ بِهِ آخِرَ أَشْرِبَتِهِمْ ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا أَدْخَلَ فِيهِ يَدَهُ ثُمَّ أَخْرَجَهَا ، لَمْ يَبْقَ ذُرٌّ مِنْ رُوحٍ إِلَّا وَجَدَ رِيحَ طَيِّبِهَا <sup>(٨)</sup> ، وَرَوَى أَبُو بِنِ كَعْبٍ قَالَ:

(١) قراءة متواترة: انظر: تقريب النشر (ص ٧٦).

(٢) حسن: الطبري (٣٠ / ١١١) ، وعزه السيوطي (٦ / ٥٤٣) فى الدر المنثور لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم .

(٣) صحيح: الطبري (٣٠ / ١١١) فى تفسيره .

(٤) قراءة متواترة: انظر: تقريب النشر (ص ١٨٦).

(٥) صحيح إليها: انظر: الطبري (٣٠ / ١١٣) فى تفسيره .

(٦) عجز بيت وصدره: فيتى بجانيي مُصرعات

(٧) عجز بيت وصدره: وصهباء طاف بهوديهيا

(٨) صحيح: الطبري (٣٠ / ١١١) فى تفسيره .

قيل: يا رسول الله ما الرحيق المختوم؟ قال: «غدران الخمر»<sup>(١)</sup>، وقيل: مختوم في الآنية، وهو غير الذي يجري في الأنهار، قاله أعلم، «وفي ذلك» أي: وفي الذي وصفناه من أمر الجنة «فليتأنس المتأنسون» أي: فليرغب الراغبون يقال: نَسْتُ عليه الشيء أَنَسُهُ نَفَاسَةً: أي: ضننت به، ولم أحب أن يصير إليه. وقيل: الفاء بمعنى إلى، أي: وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل؛ نظيره: ﴿لِيُمَثِّلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> [الصفات].

قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ أي: ومزاجه ذلك الرحيق «مِن تَسْنِيمٍ» وهو شراب ينصب عليهم من علو، وهو أشرف شراب في الجنة، وأصل التسنيم في اللغة: الارتفاع فهي عين ماء تجري من علو إلى أسفل؛ ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه، وكذلك تسنيم القبور، وروي عن عبد الله قال: «تَسْنِيمٌ» عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفاً، ويمزج منها كأس أصحاب اليمين فتطيب<sup>(٣)</sup>، وقال ابن عباس<sup>(٤)</sup> في قوله عز وجل: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنَ تَسْنِيمٍ﴾ قال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وقيل: التسنيم عين تجري في الهواء بقدرة الله تعالى، فتنصب في أروابي أهل الجنة على قدر مائتها، فإذا امتلأت أمسك الماء، فلا تقسع منه قطرة على الأرض، ولا يحتاجون إلى الاستقاء؛ قاله قتادة: ابن زيد: بلغنا أنها عين تجري من تحت العرش، وكذا في مراسيل الحسن<sup>(٥)</sup>، وقد ذكرناه في سورة «الإنسان»: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشرب منها أهل جنة عدن، وهم أفاضل أهل الجنة صرفاً، وهي لغيرهم مزاج، و«عَيْنًا» نصب على المدح، وقال الزجاج: نصب على الحال من تسنيم، وتسنيم معرفة، ليس يعرف له اشتقاق، وإن جعلته مصدراً مشتقاً من السنام فـ «عَيْنًا» نصب؛ لأنه مفعول به؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ﴾<sup>(٦)</sup> [البلد: ١٤] وهذا قول الفراء إنه منصوب بتسنيم، وعند الأخفش بـ «يُسْقُونَ» أي: يسقون عينا أو من عين، وعند المبرد بإضمار أعني على المدح.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمُ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ۝ قَالَ يَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ۝ هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ وصف أحوال الكفار في الدنيا مع المؤمنين في استهزائهم بهم والمراد رؤساء قريش من أهل الشرك، روى ناس عن ابن عباس قال: هو الوليد بن المغيرة، وعقبة بن

(١) ضعيف: ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٧) في تفسيره بصيغة التعريض فهو معلق ضعيف.

(٢) صحيح: الطبري (٣٠/ ١١٤) في تفسيره.

(٣) قال السيوطي (٦/ ٥٤٤) في الدر: «رواه عبد بن حميد وابن المنذر من طريق يوسف بن مهرا، عن ابن عباس؟»

قلت: فهو حسن لكونهم تكلموا في (يوسف بن مهرا) على توثيق فيه.

(٤) مرسل: والحسن لم يدرك زمن النبي ﷺ، وهو مدلس أيضاً.

أبي معيط، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن هشام، وأبو جهل، والنضر بن الحارث؛ وأولئك ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أصحاب محمد ﷺ مثل: عمار، وخباب، وصهيب، وبلال ﴿يُضْحَكُونَ﴾ على وجه السخرية، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ﴾ عند إتيانهم رسول الله ﷺ ﴿يَتَفَامَزُونَ﴾ يغمز بعضهم بعضاً، ويشيرون بأعينهم، وقيل: أي: يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به يقال: غمزت الشيء بيدي؛ قال:

وَكُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ فِتَاةَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كَعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمَا

وقالت عائشة: كان النبي ﷺ إذا سجد غمزني، فقبضت رجلي، الحديث؛ وقد مضى في النساء (١)، وغمزته بعيني، وقيل: الغمز: بمعنى العيب، يقال غمزه: أي: عابه، وما في فلان غمزة أي: عيب، وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب جاء في نفر من المسلمين إلى النبي ﷺ فلمزهم المنافقون، وضحكوا عليهم وتغامزوا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ أي: انصرفوا إلى أهلهم وأصحابهم وذويهم ﴿انْقَلَبُوا فَكَيْنَ﴾ أي: معجبين منهم، وقيل: معجبون بما هم عليه من الكفر، متفكهنون بذكر المؤمنين، وقرأ ابن القعقاع وحفص والأعرج والسلمي: ﴿فَكَيْنَ﴾ بغير ألف، الباقون بألف (٢)، قال الفراء: هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر، وقد تقدم في سورة «الدخان» والحمد لله (٣)، وقيل: الفكه: الأشر البطر والفاكه: الناعم المتنعم، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: إذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب محمد ﷺ ﴿قَالُوا إِنْ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ في اتباعهم محمداً ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ لأعمالهم، موكلين بأحوالهم، رقباء عليهم. قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني هذا اليوم الذي هو يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ كما ضحك الكفار منهم في الدنيا، نظيره في آخر سورة «المؤمنون» وقد تقدم (٤)، وذكر ابن المبارك: أخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ قال: ذكر لنا أن كعباً كان يقول إن بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى؛ قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿فَاطَّلِعْ فَإِنَّ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٥٥] قال: ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلي (٥)، وذكر ابن المبارك أيضاً: أخبرنا الكلبي عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] قال: يقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا، ففتتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم؛ فذلك قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٦) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) قد مضى هذا في أول سورة البقرة،

(١) صحيح: وقد سبق عند الآية (٤٣) من سورة النساء.

(٢) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص ١٦٥).

(٣) عند الآية (٢٧).

(٤) عند الآية (١١٠).

(٥) فيه انقطاع بين قتادة وكعب: ورواه الطبري (٣٠ / ١١٧) في تفسيره صحيحاً إلى قتادة.

(٦) هذا ضعيف جداً: وتقدم عند الآية (١٤) من سورة البقرة.

ومعنى ﴿هَلْ تُؤْتِبُ﴾ أي: هل جوزي [ الكفار ] بسخرتهم في الدنيا بالمؤمنين إذا فعل بهم ذلك، وقيل: إنه متعلق بـ «يَنْظُرُونَ» أي. ينظرون: هل جوزي الكفار؟ فيكون معنى هل: وموضعها نصباً بـ ﴿يَنْظُرُونَ﴾، وقيل: استئناف لا موضع له من الأعراب، وقيل: هو إضمار على القول، والمعنى: يقول بعض المؤمنين لبعض: ﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ﴾ أي: أئيب وجوزي، وهو من تَابَ يُتُوبُ، أي رجع؛ فالثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله، ويستعمل في الخير والشر.

تمت السورة والله أعلم.